يوسف بطرس كرم

- ولد في بلدة إهدن، شمالي لبنان، في منتصف أيّار ١٨٢٣. والده الشيخ بطرس كرم، حاكم إقطاعة إهدن. والدته السيدة مريم ابنة الشيخ أنطونيوس بو خطار من عينطورين.
- تعلّم مبادئ اللّغتين السّريانية والعربية، كما درس مبادئ الصّرف والنّحو، وتعلّم الإيطاليّة والفرنسيّة. ولم يكتفِ بذلك بل عمِل على تطوير ثقافته حتّى أصبح ملمًّا بأمور متنوّعة منها الدّينية والأدبيّة والعلميّة والتّاريخيّة وحتّى الإداريّة، كما تعلّم الفروسيّة على يد الشّيخ عماد الهاشم العاقوري. واللّافت أنّ كرم عاش حياة التّقوى منذ صغره فلم ينقطع يومًا عن ممارسة فروضه الدّينية وكان يصلّي الصّلوات في أوقاتها في كل الظّروف والأحوال ويحضُر القدّاس في الصّباح الباكر وهو ساجد يصلّي المسبحة. وقد حرص على أن يحمل في عنقه ذخيرة عود الصّليب المقدّس. هكذا ومنذ نشأته، استند كرم إلى فروسيّة مميّزة وثقافة رفيعة وإيمانٍ راسِخ، فكان أن شبّ كرجُل دين وإيمان واسْتِقامة وفكر وقلم بدرجةٍ فاقت في كثيرٍ من الأحيان كونه رجلَ سيف وسياسة بمعناها التّقليدي.
- عام ١٨٤٥، وهو في سن ٢٣، حصَلَت معه حادثة تدلّ على شهامته وشجاعته وإيمانه. فقد تصدى كرم لعسكر الدّولة العثمانيّة الذي أراد نزع سلاح الأهالي في الشّمال بالقوّة وألحق به شرّ هزيمة، وغنم منه كمّية كبيرة من السّلاح والذّخائر، فوضعت الدّولة مكافأة قيّمة لمن يأتي بكرم حيًّا أو ميتًا. فلمّا علم كرم بذلك، قام ونزل بنفسه إلى طرابلس ودخل مقرّ القائد العثماني. ووسط ذهول القائد، وقف كرم يعرّف عن نفسه قائلًا: "بلغني أنّ دولتك وضعت جائزة لمن يأتيك برأسي أو يأتي بي إليك حيًّا، فها أنا بين يدَيك فافْعَل ما تشاء على أن تأمُر بتوزيع الجائزة على الفقراء. فسأله القائد: "ما الذي دفعك إلى العصيان؟" ردّ كرم: "علمتُ أنّ العسكر قادم إلينا لجمع السّلاح بالقوة القاهرة، وإنّه سيفعل ببلادي ما قام به بغير أماكن من البلاد حيث اعتدى على الأهالي وعاملهم بوحشيّة وأهان الكهنة والكنائس. فحملني حبّ بلادي وشعبي والنّفور من الجور والظّلم على أن أفعل ما فعلت." عندها أُعجب القائد بجرأة كرم وحرّية ضميره وقرّر العفو عنه وصرَفه

مكرّمًا.

- عام ١٨٤٩، عُيّن مأمورًا لقيْد النّفوس في مقاطعة الجبّة وهو كان حينها حاكمًا لإقطاعة إهدن. وقد حصل أنّ المبشّرين الإنكليز المقيمين في طرابلس أرادوا في صيف ١٨٤٩ إنشاء مركز للبروتستان في إهدن، فاسْتأجروا منزلًا بحجّة أنهم يريدون تأسيس مدرسة، فعمل على طردهم، قائلاً: "إنّ إهدن هي عرين الإيمان المسيحي الصّحيح ولا تحتاج إلى من يهديها إلى طريق المسيح."
- أسّس كرم فرقة الكشّاف اللّبناني ووضع لها قوانين وتعاليم مماثلة لتعاليم الكشّافة اليوم. وقد ساهمت جمعيّة الكشّافة هذه في النّهضة الوطنيّة الكبرى وكان لها دورًا هامًّا.
- في ٨ كانون الأوّل عام ١٨٤٥، بادر كرم إلى تأسيس أخوية الحبَل بلا دنس التي حظيت بمباركة البطريرك ودعم الأهالي. واخْتار كرم شعار الأخويّة القائل: "فليكن مباركًا الحبَل بسيّدتنا مريم العذراء البريئة من دنس الخطيئة الأصلية." وقد حرص كرم على إعداد الرّياضات الرّوحية واهْتمّ بإبطال العادات المستهجنة ومَنَع الملابس غير المحتشمة وخاصّةً لدى دخول الكنيسة.
- في ١٤ آذار ١٨٥٧، وَكّلَه أهالي إهدن وقسم من أهالي الجبّة ليصبح حاكمًا على المنطقة بصلاحيّات إداريّة وقضائيّة وعسكريّة واسعة.
- في أواخر آب ١٨٥٩، قرّر كرم الابتعاد عن السّياسة والانصراف إلى خدمة الرّب من خلال المثابرة مع كهنة علماء على أعمال الرّسالة الرّوحية، لكن أحداث ١٨٦٠الدّموية دفَعَته مرغمًا للعودة إلى مُعْترَك السّياسة.
- في العام ١٨٦٠، عُيّن وكيل قائمّقاميّة النّصارى في جبل لبنان.
- في عام ١٨٦٢، رفض كرم نظام المتصرّفيّة الذي فرضتْه الدّول الأوروبيّة والسّلطنة العثمانيّة كونه يثبّت حكم جبل لبنان في يد حاكم أجنبي، فتمّ نفيه للمرّة الأولى.
- في ١٢ تشرين الثّاني ١٨٦٤، وإثر تجديد ولاية المتصرّف الأجنبي داوود باشا، عاد كرم إلى لبنان سرًّا.
- خاض معارك عديدة ضد العسكر العثماني من أبرزها معركة بنشعي الكبيرة التي هَزم بها كرم ورجاله جحافل الجيش العثماني، ومعركة سبعل وغيرها من المعارك التي انْتَصر فيها كلّها كرم ورجاله.
- في شباط ١٨٦٦، وافق كرم مرغمًا على نفيه الثّاني من لبنان وذلك ليجنّب رجاله وأهله المزيد من

المعارك والدّماء والدّمار. حينها قال للجماهير التي أبَت أن يرحل عبارته الشّهيرة: "فَلْأُضَحِّ أنا وليَعِش لبنان."

- في منفاه الطّويل الذي اسْتَمرّ حتّى وفاته، لم يتوقّف كرم عن المساعي والجهود السّياسية والدّبلوماسية التي بذلها من أجل تغيير نظام مُجحِف وظالم بحقّ بلاده وشعبه.
- في العام ١٨٧٨، أقام كرم في نابولي حيث اسْتَأجر فيلّا أطلق عليها اسم الدّار اللبنانية "فيلّا ليبانيزا"، فانْقَطع كليًّا عن السّياسة ممارسًا واجباته المسيحيّة على أكمل وجه. وأفْرَدَ غرفةً في الفيلّا جاعلًا منها معبدًا تزيّنه صور المسيح ومريم العذراء ومار يوسف فوق مذبح من خشب أكملتْهُ الأواني الكنسيّة، فكان كرم يقضي ساعات عدّة مصلّيًا ومتعبّدًا.
- في أواخر أيّامه، أنشأ كرم جمعيّة دينيّة على اسم القدّيس يوسف هدفَت الى نشر تعاليم الله والكنيسة وإلى مساعدة الفقراء والمحتاجين وتعليم الأحداث والعناية بالمرضى. وكان مركزها في دير مار يوسف عبرا، بين زغرتا وإهدن.
- تُوفّي كرم في نابّولي، في إيطاليا، في ٧ نيسان ١٨٨٩.
- في ١٣أيلول ١٨٨٩، وصل جثمانه إلى بلدته زغرتا. وفي اليوم التّالي نُقل إلى كنيسة مار جرجس في إهدن. وما زال جثمانه حتّى يومنا هذا كما هو رغم مرور ١٢٣سنة على وفاته، مع العلم أن الجثمان دُفن في نابّولي ومن ثمّ أُعيد نقله عبر البحار إلى لبنان.
- في ١١ أيلول ١٩٣٢، أُزيح السّتار عن تمثال كرم في باحة كنيسة مار جرجس في إهدن.